كتاب مفتوح الى بيروت

بقلم محمد موسى مناصرة

كتب مصطفى جفال / بيروت

ارغب قط، ولم اجدني لحظة مدفوعا للحديث عما يجرى من مأسات صبيانية ، وعن اعمال التخريب التي يتسلح بها البعض داخل الحركة النقابية في الارض المحتله، احساسا وشعورا بالمسؤولية تجاه الصف في الحركة النقابية واحساسا بالحرص على وحدة الحال امام كل من يعنيهم مستقبل الحركة النقابية للاسهام في بنائها وتوطيد دعائمها بغض النظر عن مواقع الانتماء.

الجهود ، ارائي مدفوعا للحديث عن تلك المماحكات الدونيه وكشف تلك الاكاذيب ، لانني فوجئت باعتمادها في تزوير كتابكم الذي صدر مؤخرا، ويحمل اسم "الطبقة العاملة والحركة النقابية في الضفة الغربية والقطاع".

لكم بأني ما كنت راغبا في ذلك رغم مضي الايام لا اهتمامنا لدى وتعلق بواقع نضالنا الصعب، ولولا ان الصمت احيانا وكما الاقرار بصحة ما يقال او ينشر، بالاضافة الى انه وبعد ان الى استخدام السكاكين والالات الحادة، تعبيرا عن الافلاس والرغبة المحمومة في التخريب على وحدة الصف النقابية كما نقابة الفنادق والمطاعم يوم السبت الماضي ١٨ من شهر ايار رام الله والبيرة يوم الاحد ١٩٨٠/١٢/٢٨ فقد غدا اكثر من مضى كشف اوراق اولئك المشغولين بانفسهم الترسيسيين لا يرون احدا اكثر منهم وطنية وثورية ، ، وبدوافع الحرص ان الحقيقة واضحة لا لجماهيرنا في الارض المحتلة، فقد كفاحاتها المطلبية اليومية ، بل لتكون واضحة لاولئك المبتلين بان يكون قدرهم الاعتماد على تقارير وهمية لاناس مهزومين امام البذة الحديدية ، فتراهم في المواجهة "يفشون غلهم وينفثون بين حولهم، على طريقة من فقد صوابه لحظة اصطدامه بمنعطف

ايل يا عزيزي، ان لا يكون كتابك هذا ، هو آخر مالديك من دافع الرشاشه وعبارات التصفيه ضد كفاحات الحركة النقابية، بعد ،لكشف القناع عن هوية تلك الجهات التي استهدفتك لتكون ضحية لصبيانيتها ونرسيسيتها الثورية ، وتستهدف ابراءات القبضة الحديدية ، تخريب وحدة الصف ، وتشويه قاعدية في الارض المحتلة.

قبلا في مقدمة الكتاب، السادسة حيث تقول ما يراه الخط الاخضر هم الرئيسي للطبقة والاكثر تقدما ووعيا بدورها الاضطهاد القومي لا ادرى على اى الاسس ذلك علما بانكم اوردتم ٤١ من الكتاب بان عدد العاملين في المشاريع الاسرائيلية قد وصل الى الف عامل من مجموع عاملة واشرت في ٢٥ بان عدد العاملين العربية قد بلغ ١٢٦٠٠٠ دون حساب عمال القطاع لن حيث العدد الكمي لله وفق الاحصائيات الكتاب ذاتها فان عدد العمال والمشاريع ان العاملين في المشاريع اسرائيلية .

ان حيث النوعية، فقد جميع ثنايا الكتاب، فلم واحدة تستدلون بها على اعتبار عمال ما وراء هم الاكثر وعيا وتقدما بخضوعهم لقهر طبقي ، وهذا بحد ذاته قول لانه يدفعنا للفهم الاراضي المحتله ، في نطاق لا تتعرض لهذا القهر ابعد مايكون عن كما اشار جورج حزبون عن يقولم ١٤٧ فانه من الخطأ العاملين في اسرائيل في العمال الفلسطينيين في المؤسسات ان القهر الطبقي والقومي به وحدهم. وانما يقع جميع فئات شعبنا، ولان ابناء التنكر الفاضح للدور الطبقي البارز الذى تمارسه الطبقة العامله في محتلة .

اشارة الى ذلك فان النسبة من العمال العاملين في العمال الاسرائيلية يتم اليها وفق الاحصائيات التي استندت اليها نفسك على مجالات الزراعة وقطاع البناء. وقطاع الخدمات ونسبة اقل منهم تعمل في مجال الصناعة .

وساحاول هنا ان اعطيكم صورة عن العاملين في قطاع البناء بسوق العمل الاسرائيلي ، فعلى سبيل المثال ، فالشركات الاسرائيلية كالكيبون كيمحت مثلا تقوم بتوزيع العمال وفق مشاريعها وحاجاتها على نحو قدتري في احد فروعها في القدس عمالا من الظاهرية الخليل، وعمالا من حوسان/بيت لحم وعمالا من دير عمار/رام الله يلتقون معا لاسبوع او شهر في مكان عمل واحد وبعد ذلك يتم نقلهم الى اماكن عمل جديدة لا يلتقون بها ثانية .بالاضافة الى انه في غالب الاحيان فان العمال يعملون متعاقدين مع شركات العمل مع سماسرة عمل عرب الاسرائيليه على حساب "الراس" كما يسمونه في قواميسهم الاستغلالية. وكذلك الحال ايضا في مجال الزراعه فهم عمال موسميون، في هذا الكيبوتس او تلك الجمعيه، يحملون في موسم محدد كالقطف مثلا ويتم اعفائهم من العمل بعد حين، بالاضافة الى ان معظم هؤلاء العمال من اطفال المدارس اثناء عطلهم المدرسيه والنساء والشيوخ وغالبا ما ينتمون للقرية وليس الى المدينه.

اشير الى ذلك لا للتقليل من دور العمال العرب في سوق العمل الاسرائيلي، وانما للاشارة الى ان اقل الناس خبرة ودراية بقواعد المادية التاريخية وبالعلوم الاجتماعية وباصول علم النفس يدركون اى من العاملين بالضفة والقطاع ام العاملين في سوق العمل الاسرائيلي يتميزون بالوعي الاكثر تقدما وايهم اكثر تنظيما ، وايهم يتميز بالميزات النوعية التي تقصدها وايهم يتحمل عبء المسئوليات الوطنية والمطلبية .

ولا ارى خطا في ان نعرج على بعض الاسس والقواعد النظرية، لنرى يا دكتور جفال صحة الاحكام التي اشرت اليها، اذ تفيد فلسفة المادية التاريخية بان ما يحدد وعي الناس الاجتماعي ، هو وجودهم الاجتماعي، نشاطهم اليومي في العملية الانتاجية التي يشتركون فيها، بمعنى ان مزاج الناس النفسي والتربوى ووعيهم الحقوقي والتنظيمي والمطلبي ..الخ هو انعكاس لواقع اشتراكهم في اقتصاد خاص متميز، يتبادلون فيه ملايين الاشكال من علاقات التبادل المتنوعة .

والان ، كيف تجاوزت عزيزى الكاتب حقيقة ان نشاط جماهيرنا في في العملية الانتاجية في الضفة والقطاع وعلاقات التبادل في هذه العملية تختلف تماما عن علاقات التبادل ونشاط الناس في العملية الانتاجية الاسرائيلية .

وعلى ضوء معرفتنا بواقع اختلاف سوق العمل هنا وسوق العمل هناك ، فكيف يمكن اعتبار اشكال الوعي الحقوقي والمطلبي والتنظيمي وغيرها من اشكال الوعي للعاملين في ما وراء الخط الاخضر كما تسميه والعاملين في المؤسسات العربية ، وباى المصوغات الثورية . نتهرب من واقع وحقيقة اثر عمل العمال العرب في سوق العمل الاسرائيلي في تشويه وعيهم الاجتماعي ،الحقوقي والنفسي والتربوى وكيف يمكن ان يكونوا الاكثر وعيا وتقدما من اولئك الذين تحملوا في الضفة والقطاع اعباء النضال الوطني والطبقي واعباء تطوير الاقتصاد الوطني، ويتميزون بالاشتراك والاسهام بذات العملية الانتاجية ، وبذات اشكال الوعي الاجتماعي المتنوعه المنعكسه عن واقع وجودهم في الضفة والقطاع بغض النظر عن خصائص هذا الواقع الاجتماعي في ظل الاحتلال ؟؟

ام ان التلحين على قضية عمال ما وراء الخط الاخضر تخفي في ثناياها تلك المفاهيم الاستراتيجيه القومية المنتسبة لاقطاع فلسطين في الثلاثينات ؟!

وفي المقدمة ايضا :

تشير في الصفحات ٨و٩ وتؤكد ذلك في الفصلين الرابع والخامس بان الاتجاهات العمالية الجذرية قد نجحت واثمرت نضالاتها في زيادة الاقبال على النقابات عام ٧٨/٧٩ ومن احداث تصحيح نسبي التكوين الداخلي للنقابات وتنشيط حياتها الداخلية ، وبان هذه الاعوام هي بداية تحويل النقابات الى منظمات كفاحية واسعه ما كان يمكن ان تكون كذلك لولا نضال اصدقاؤك الجذريين .

وقبل مناقشة الموضوعه ، يبدو لي مهما ان اتقدم بالشكر الجزيل اليك لتعريفك لاصدقاؤك هنا واصدقاؤك هناك في بيروت بوجود صحيفة تسمى "راية الشعب" .

من حقك ومن حق ما تسميها براية الشعب اعتبار هذه الاعوام ٧٨/٧٩ بداية النضال في الحركة النقابية لتصحيح مسارها الخاطئ !! المتمثل كما تزعم في الصفحه ٦٨ ، بتصحيح الاقرار "بضرورة احترام شرعية الاحتلال" !! وبان هذه الاعوام بداية لوضع حد لمحاولات تطفيش العمال والاحالة دون انتسابهم لنقاباتهم صفحة ١٠٠ ، والتي تتهم فيها نقابة عمال بيت لحم الشجاع اقول لك، كنتم متفرجين على الحركه النقابية وكنتم في الصف الاخر من الحركه الجماهيرية. لا تؤمنون بها ولا بقدرتها على الانتصار وتتهمون (الغير) من المهتمين بالحركه الجماهيرية بالافلاس وسبحان الله ! تنتقلون الى مواقعهم وبين لحظة وضحاها الى الخنادق الاستراتيجيه لهؤلاء المفلسين . وغدوت انت واصدقاؤك الذين كنتم ترفضون حتى دعوتكم للعمل في المؤسسات، اكثر حرصا وجدرية على هذه المؤسسات فتعال الان معي ، لنرى يا عزيزى تلك الصفحات المشرقة من الكفاح النقابي التي سبقت كثيرا بدء ميلادكم الجذرى في الحركه النقابية ومعذرة على هذه اللهجه فقد اخذتنا كثيرا ايها الجفال .

كان عام ١٩٦٧ ، بداية العهد الجديد في الاراضي المحتله، واثر احتلال الضفة والقطاع، تم اغلاق ابواب نقابات كثيرة لسببين اثنين اكثر جوهرية .

الاول :

اما نتيجة لان البعض ممن كانت الحكومة الاردنية قد فرضت وجودهم في بعض النقابات وبالتالي انتهى بعد عام ٦٧ مبرر وجودهم فبادروا الى حل نقاباتهم واختاروا الانزواء هناك بعيدا عن المواجهة .

والثاني :

نتيجة لملاحقة السلطات الاسرائيلية لهذه النقابات وحرمانها من حق التنظيم النقابي وابعاد قادتها واعتقالهم .

وفي هذه الفترة تحديدا على مدى خمس سنوات بعد الاحتلال ، كان على النقابيين المنتمين قولا وعملا الى الطبقة العاملة عبء ثقيل ومهمة لولا انها تكللت بالنجاح لما كان في مقدورك ولا كان في مقدور الجذريين في راية الشعب امكانية الحديث ولملمة بعض الاخبار العمالية من الصحف وصياغتها في بيان تاريخي .

تلك المهمة التي كان قوامها الحفاظ على نقابات العمال القائمه وتثبيتها لمؤسسات قانونيه وجماهيريه مهما كان الثمن كمهمه اوليه من اولويات النضال الوطني ، واني لاذكر في تلك الفترة ٦٨/٦٩ رغم اني كنت شخصيا مثلما كنت انت واصدقاؤك مفعما بالمفاهيم التروتسكية والفوضوية المغامرة التي لا تثق بقدرة الحركة الجماهيرية وتختار الابتعاد عنها بمعارضتها بوسائل وشعارات اخرى جوهرها العفوية والحلقية الديماغوجيه وكيف كنتم متفرجين على هذه المهمه .

واذكر تلك المشاق التي تحملها القائمون على تثبيت العمل النقابي في الضفة الغربيه ومن بينهم نقابيو بيت لحم . حيث كانت تتم مداهمات النقابه الشهريه من قبل جهاز التفتيش الخاص بالنقابات في محاولة لايجاد اى خرق قانوني صغير من اجل اغلاقها ، ومن ضمن ذلك معرفة ما اذا كان عدد الاعضاء في النقابه يتوافق مع العدد القانوني الذى يمكنه بموجبه للنقابه افتتاح مقر لها .

لم يكن جفال ولم تكن رايته موجوده ، حيث كانت ادارة النقابة في بيت لحم تطوف على اماكن عمل العمال والتجوال بيت لبيت بحثا عن العمال من اجل تنسيبهم في بيت ساحور او ارطاس او بيت لحم .

ولن ينمحي والى الابد من ذهن العمال في منطقة بيت لحم حين كان عمال النقابه وهيئتها الاداريه في هذه السنوات الصعبه يقطعون من قوت عائلاتهم وابنائهم مخصصات ماليه لتامين اجرة مقر النقابه وثمن مصروفات الكهرباء والماء او لتامين ما تتكلفه متابعة القضايا العماليه .

وفي غياب المؤسسات الانتاجية التي تضم عمالا دائمين فيها او تضم عمالا يزيدون عن عشرة عمال . حيث ان ٨٠ بالمئه من صناعات بيت لحم مثلا قوامها الصناعات السياحيه كانت في تلك الفترة لا تضم اكثر من خمسة عمال الى سبعة عمال مثل صناعات خشب الزيتون والصدف والمسابح وبقية التحف الاخرى . وفي ظروف عدم اعتراف اصحاب العمل انفسهم بشرعية النقابات وتهديد النقابات بالسلطه علاوة على فصل العمال وطردهم من العمل اذا علم صاحب العمل بانتسابهم الى النقابه والامثله على ذلك لا تعد ولا تحصى

في هذه الظروف بكل ما تعنيه من قساوة تكللت رغم كل شيء مهمة تثبيت العمل النقابي لا في بيت لحم وحدها وانما على نطاق الوطن، وعمل هؤلاء ، الذين تتهمهم بالبيروقراطيه بداب ونشاط وبنفس طويل ، وتحملوا سياط السلطه وجهل الاغبياء وتدني الوعي الطبقي، وتطاول البعض على نهجهم ، واضعين امام اعينهم حقيقة واحدة لا غير ، هي ان هذه المؤسسات ضمانه اكيده لتعبئة الشعب في الحركه الجماهيريه ضد المؤامرات التي تستهدف قضيتنا الفلسطينيه ومستقبلنا السياسي .

وكان يمكن لو ان هؤلاء النقابيين اتصفوا بالبيروقراطيه والفنويه واحترام شرعية الاحتلال كما تزعم ، كان يمكن حينئذ ان يلينوا ويديروا ظهورهم لمهمة تثبيت المؤسسات النقابية ويستجيبوا لنفس وسائل العمل التي كنت تدعو اليها انت واصدقاؤك في تلك الفترة . وبالتالي تكون النتيجة كما هي واضحه امامك بخصوص الحاله الجماهيريه ما بين الضفة والقطاع ، ولكنهم لم يلينوا وظلت ضمائرهم ونفوسهم عامرة ، واثقة بالنصر ولعل هذا بعينه ، هو كنه الفخر الذى تتزين به هامات الشيوعيين في الاراضي المحتله ، حين افصح التقرير السياسي الصادر عن اجتماعهم الموسع في آب ١٩٧٩ والذى نشرته وكالات الانباء في الخارج حيث يفيد في ختامه بانه في الوقت الذى كان فيه البعض ، مشغولا في البحث عن صيد اعلامي ثمين ، كان الشيوعيون مشغولين في تثبيت المؤسسات ، وتعبئة وتنظيم الجماهير فيها وتنميه وعيهم الى ان جاءت مؤامرات المملكه المتحدة والاداره المدنيه واتفاقيات كامب ديفيد فكانت هذه المؤسسات هي الرد الحاسم وواجهة الصد التي افشلت تلك المؤامرات .

ولم يتوقف كفاح النقابيين في مهمة تثبيت الحركة النقابية فبعد اعوام ٧٢/٧٣ ، طرحت مهمات جديدة على ضوء المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتي اعتمدت جانبا منها في كتابك وهي مهمات تطوير دور الحركة النقابية الوطني والطبقي ، فبدأت نقابات العمال بتعزيز تحالفها مع المؤسسات والهيئات الوطنيه كالبلديات والجمعيات والاندية ومراكز الخدمات . وبدأت تناضل من اجل احياء النقابات المجمدة . وكان لنقابة عمال بيت لحم ان كنت لا تعلم ، شرف ان يكون امين سرها من بين عشرة نقابيين في الارض المحتله اخذوا على عاتقهم مهمة احياء النقابات المجمدة في مختلف مدن الضفة والقطاع .

وبدأت النقابات في عقد اتفاقيات عمل جماعيه خصوصا بعد التطور الملحوظ في السنوات الاخيره